تقي الدين المقريزي علم من أعلام التاريخ والاقتصاد

(760 – 845 هـ) (1365–1441م)

الأستاذ الدكتور مصطفى العبد الله الكفري

إنه لخطأ كبير وتجاهل خطر أن يبدأ البحث في الفكر الاقتصادي وتطور المذاهب الاقتصادية من تصورات أفلاطون وأرسطو والمفكرين الأوروبيين في روما القديمة واليونان القديم، وتحدث القفزة إلى القرن الثامن عشر مباشرة، متجاهلين الجهود العلمية والأخلاقية والظواهر في القرون الوسطى، بدعوى أن القرون الوسطى، هي عصور الجهل والظلام.

عمل علماء ومفكرو النهضة الأوروبية على إنكار أسلافهم المفكرين من علماء وفلاسفة العصر الوسيط، وأصروا على ارتباطهم بأسلافهم الأوروبيين (اليونان والرومان). حتى إنهم اعتبروا العلم محض ظاهرة أوروبية تبدأ في المجتمع اليوناني والروماني وتنتهي في المجتمعات الأوروبية الغربية ذات الحضارة التكنولوجية المعاصرة.

Contents

1 – تقي الدين المقريزي علم من أعلام التاريخ:..... 3
2 – أصل المقريزي من حارة المقارزة في بعلبك والولادة في القاهرة:..... 4
3 – ترجمة بعض أعمال للمقريزي إلى لغات غير العربية: 5
4 – سادة مصر من الطولونيين والأخشيديين، والفاطميين والمماليك: ... 6
5 – تاريخ المجاعات في مصر وأسبابها: 7
6 – النقود هي الذهب والفضة فقط:..... 8
7 – أهم ما يميز كتابات تقي الدين المقريزي:..... 9
8 – أهم مؤلفات تقي الدين المقريزي:.....10
أ – كتاب (إغاثة الأمة بكشف الغمة):.....11
ب – كتاب (شذور العقود في ذكر النقود): 13
ج – كتاب (الخطط المقريزية) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: 14

تقي الدين المقريزي علم من أعلام التاريخ والاقتصاد
(760 - 845 هـ) (1365-1441م)

الأستاذ الدكتور مصطفى العبد الله الكفري

(أن التفاتنا اليوم إلى أهمية التدقيق في تاريخ العلوم من جهة. والتفاتنا إلى البحث عن نشوئها وترعرعها في مختلف المجتمعات والحضارات الإنسانية، واعتبارنا العصر الوسيط عصراً ذهبياً بالنسبة لتكوين الروح العلمية وتطويرها في أحضان إحدى الحضارات العالمية الكبرى هي الحضارة الإسلامية، من جهة أخرى، كل هذا يجعلنا نراجع تلك المواقف المزدرية لإنتاج العصر الوسيط). [1]

فليس من المعقول أن نجد في أيامنا هذه، مؤلفات حول المذاهب الاقتصادية أو عن تاريخ الفكر الاقتصادي تتجاهل ما أنبتته الأخلاق والتعاليم الإسلامية والمسيحية من نظريات حول التعامل الاقتصادي، والظواهر والمشكلات الاقتصادية.

يصف جورج سارتون، العرب المسلمين في زمن ازدهار الدولة الإسلامية خلال الفترة من منتصف القرن الثامن الميلادي وحتى نهاية القرن الحادي عشر، قائلاً: (هم عباقرة الشرق في القرون الوسطى)، لقد قدموا للحضارة الإنسانية مأثرة عظمى، في كتابة أعظم المؤلفات والدراسات قيمة وأصالة وعمقاً باللغة العربية، التي كانت لغة العلم للجنس البشري آنذاك. (فما من شخص يريد الإلمام بثقافة ذلك العصر، كان قادراً على ذلك دون أن تكون له معرفة باللغة العربية). [2]

ليس هذا فحسب، بل أشاد العرب دولاً لهم في أطراف الجزيرة العربية على شواطئ بحر العرب، وفي بلاد الرافدين وبلاد الشام وفي شمال أفريقيا، ثم وصلت إلى الأندلس وحتى حدود فرنسا في أوروبا. وأقاموا هناك حضارات ما تزال موضوعاً هاماً في كتب التاريخ والكتب المعاصرة. لقد حمل العرب المسلمون (رسالة ذات طابع إنساني، يبلغونها للعالم أجمع. فاقترن قيام أول

---

[1] – د. عبد المجيد مزيان، النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981، ص6.

[2] – أحمد أبو زيد، مجلة عالم الفكر، العدد الأول، المجلد الثامن، ص 3.

دولة قومية لهم برسالة إنسانية عبرت عن خصائص العروبة، كمفهوم متجدد في اتجاه التقدم من أجل الإنسانية). [3]

امتلك العرب المسلمون ناصية العلوم النظرية والتطبيقية في العصور الوسطى الذهبية – بينما كان الأوربيون يغطون في العصور الوسطى المظلمة، وقد أبدعوا في جلّ الحقول المعرفية، وأهمها: الحقل الديني والحقل الفلسفي والحقل الطبي والحقل الرياضياتي والحقل الاقتصادي. غير أن الفكرة الاستشراقي الأوربي أنكر عليهم بعض إسهاماتهم في تلك الحقول الإبداعية، وربما كان في مقدمتها الحقل الاقتصادي. فاستبدل الإسهام الاقتصادي لعلماء عرب كبار أمثال ابن خلدون والمقريزي بإسهامات توما الأكويني ووليم بيتي وجان بودان.

تجدر الإشارة إلى أن الأفكار الاقتصادية الإسلامية لم تتضمنها كتب اقتصادية متخصصة إلا فيما ندر (كتاب الخراج .كتاب " إغاثة الأمة بكشف القمة). وكان القسم الكبير منها مبثوثاً في كتب الفقه والتاريخ والتفاسير وغيرها. ولذلك كان من الصعوبة التعرف على ملامح أو أسس " نظام اقتصادي إسلامي " متكامل ومتبلور من حيث النظرية أو من حيث التطبيق. ولكن ذلك لا يعني غياب مبادئ اقتصادية إسلامية قائمة على الفطرة البشرية والقيم الإنسانية ومتميزة عن المبادئ الاقتصادية الرأسمالية والاشتراكية.

1 – تقي الدين المقريزي علم من أعلام التاريخ:

تقي الدين أحمد أبو محمد وأبو العباس بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي، علم من أعلام التاريخ، سار شوطاً بعيداً في حدود الفكر والعقل. وبحث في أصول البشر وأصول الديانات، وكانت له دراية بمذاهب أهل الكتاب، كان حسن الخلق، كريم العهد، كثير التواضع، عالي الهمة فيمن يقصده لنيل العلم والدراسة، محباً للذاكرة والمداومة على التهجد والأوراد وحسن الصلاة ومزيد الطمأنينة، ملازماً لبيته (ويتهمه السخاوي بعدم الإتقان فيما يرويه من الحوادث عن المتقدمين ولكن المؤرخين لم يعولوا على ما ذكره السخاوي فيه لأن آثار المقريزي شاهدة له بالعلم والفضل – وابن حجر وهو

[3] – إسماعيل الملحم، مجلة الناشر العربي، العدد الثامن، شباط 1987، ص 7.

شيخ السخاوي يقول فيه "في المقريزي" له النظم الفائق والنثر الرائق)، (4) ثم يقول عنه أحد المؤرخين : (إن المقريزي كان متبحراً في التاريخ على اختلاف أنواعه، ومؤلفاته تشهد له بذلك وإن جحده السخاوي بذلك، فذلك رأيه في غالب أعيان معاصريه). (5)

2 – أصل المقريزي من حارة المقارزة في بعلبك والولادة في القاهرة:

عُرف بالمقريزي نسبة لحارة في بعلبك تعرف بحارة المقارزة فقد كان أجداده من بعلبك وحضر والده إلى القاهرة وولي بها بعض الوظائف، اختلف في تاريخ ولادة المقريزي فقد أشار السخاوي بان أستاذه ابن حجر قال: ذكر المقريزي في كتابه المواعظ والاعتبار أن ولادته كانت بعد سنة 760هـ، 1358م ورأى آخرون أن مولده كان سنة 769هـ. ولعل ما ذكره المقريزي عن تاريخ ولادته هو الصواب لأنه أعرف من غيره بهذا الخصوص. كما انه قد حدد مسقط رأسه في القاهرة وعبر عن ذلك بقوله: (وكانت مصر مسقط راسي وملعب أترابي ومجمع ناسي). والإمام السيوطي يؤكد إن مولده كان في عام /769/هـ، أما وفاته فهي محل اتفاق، حيث توفي في مصر عصر يوم الخميس /16/ رمضان سنة /845/هـ بالقاهرة ودفن يوم الجمعة قبل الصلاة بحوش الصوصية البيبرسية.

ويعد من أبرز مؤرخي عصره، لما ناله من شهرة واسعة في تصنيفه العديد من المؤلفات التاريخية البارزة، مثل كتاب المواعظ والاعتبار، والسلوك لمعرفة دولة الملوك، والمقفى الكبير، وغيرها من المؤلفات.

(كان المقريزي رحمه الله محل احترام رجال الدولة في عصره وكانوا يعرضون عليه أسمى المناصب فكان يجيب مرة ويرفض أخرى، وحبب إليه العلم في آخر أمره فأعرض عن كل مظاهر الحياة وأبهتها وفرّغ نفسه للعلم وكان ميله إلى التاريخ أكثر من غيره حتى اشتهر ذكره به وبعد صيته فألف كثيراً وأجاد في مؤلفاته التي أربت على مائتي مجلد كبار، كما يقول هو عن

---

(4) – النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، للمقريزي، صححها الشيخ محمد عرنوس، المطبعة الابراهيمية، مكتبة الأهرام، مصر 1937، ص 10.

(5) – أنظر، مقالة للكاتب في مجلة "الخفجي"، العدد 8 السنة 19 المملكة العربية السعودية 1989، ص 16–18.

نفسه وقلما أجاد مكثر). (6)

شغل المقريزي العديد من وظائف الدولة في عصره، حيث ولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة عدة مرات، ثم عمل مع الملك الظاهر برقوق، ودخل دمشق مع ولده الناصر سنة /810/ هجرية، وعُرض على المقريزي قضاؤها فأبى، ثم عاد فيما بعد إلى مصر. (7)

3 – ترجمة بعض أعمال للمقريزي إلى لغات غير العربية:

تجدر الإشارة هنا إلى أن بعض الأعمال للمقريزي، قد تمت ترجمتها ونقلها إلى لغات غير العربية، فقد قام المستشرق (كواتر مير Qwatere Mere) بترجمة قسم كبير من كتاب السلوك للمقريزي وبخاصة ما يتعلق بمرحلة حكم المماليك لمصر، تحت عنوان:

"Historire des Sultan Mamlouks etc, Paris 1832 –45"

ثم تابع (بلوشيت Blochet) الترجمة وأكمل ما جاء به كواتر مير في عام 1908 م، حيث كتب عن تاريخ مصر وفقاً للمقريزي وأصدر كتاباً بعنوان: "Histoire d'Egypte de Makrizi Leroux Paris 1908".

احتل المقريزي مركزاً عالياً بين المؤرخين المصريين في النصف الأول من القرن التاسع الهجري، حيث أن معظم المؤرخين الكبار كانوا تلاميذ المقريزي، مثل أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي مؤلف الكتاب التاريخي المشهور (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة)، والسخاوي والعسقلاني، (أما أحمد بن علي المقريزي، فلا خلاف في تبوئه صدارة المؤرخين المصريين، في النصف الأول من القرن التاسع الهجري ويكفي دليلاً على هذا أن فطاحل ذلك الجيل من المؤرخين في مصر كانوا تلاميذ المقريزي.

واستحق كتاب المقريزي (السلوك لمعرفة دول الملوك) المكانة الأولى بين كتب التاريخ في عصره، ومن مؤلفاته أيضاً كتاب (عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط)، الذي حاول فيه المقريزي أن يكتب عن تاريخ مصر خلال الفترة التي امتدت منذ الفتح العربي إلى مرحلة ما قبل تأسيس الدولة

---

(6) – المصدر السابق (النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم) ص5 و6 و 7.

(7) – عبد الله محمد الدرويش، عالم التراث، الجزء الأول، دار هشام للطباعة والتجليد، دمشق 1984، ص127.

الفاطمية، وكتاب (اتعاظ الحنفا بأخبار الخلفا) حول تاريخ مصر في زمن الدولة الفاطمية، وكتاب (إغاثة الأمة بكشف الغمة) الذي يتحدث فيه عن تاريخ المجاعات في مصر وأسبابها. (8)

4 – سادة مصر من الطولونيين والأخشيديين، والفاطميين والمماليك:

لقد عاش المقريزي جانباً من حياته معاصراً لدولة المماليك البحرية كما عاش شطرها الآخر في عهد المماليك البرجية، وهما دولتان تكادان تكونان أغرب دولتين تحكمتا في تاريخ مصر ردحاً من الزمن غير قصير ولم يكن المماليك سوى أرقاء يُشترون ويُباعون بين السلع ولما ضعفت سلطة الخلفاء العباسيين، وانصرفوا عن الاهتمام بشأن الشعب، لجأوا إلى الإكثار في ابتياع المماليك، وسلموهم زمام السيف، ليكونوا حماتهم، وعدتهم، وكذلك فعل سادة مصر من الطولونيين والأخشيديين، والفاطميين. " ثم لم يلبث ضعف الخلفاء والسلاطين المتمادي، وابتعادهم المستمر عن الشعب، أن أفسح المجال رحباً أمام تطلع المماليك أنفسهم إلى السلطة " واستطاع هؤلاء التربع على كرسي الحكم، والتحكم بأسيادهم السابقين، وأهل البلاد المستضعفين، واغتصبوا الحكم وأسسوا دولة المماليك. (9)

يتميز الفكر الاقتصادي عند المقريزي بالروح العلمية، ويعتمد على الأسس المادية في مناقشته وطرحه للقضايا، فهو يأخذ بمبدأ السببية، ويتنكر لمبدأ القدرية. (فالأمور كلها، قلها وجلها، إذا عُرفت أسبابها، سهل على الخبير إصلاحها).

(فالمجاعات وأمثالها، ليست شيئاً مفروضاً على الإنسان من عل، ينزل بأمر، ويرتفع بأمر، كما أنها ليست ناجمة عن جهل الطبيعة وعماها، دون أن يكون للإنسان بها دور بل هي ظاهرات مادية اجتماعية، لم تلازم البشر دائماً، ولكنها تقع آناً، وتنقطع آناً آخر، تقع عندما تجتمع أسبابها ودواعيها، وتنقطع عندما تنتهي تلك المسببات والدواعي، أن كل شيء خاضع للتطور،

---

(8) – تصدير القسم الأول من الجزء الأول من (السلوك لمعرفة دول الملوك) للأستاذ محمد مصطفى زيادة ص/د.

(9) – أنظر، د. بدر الدين السباعي، مقدمة كتاب انقاذ الأمة بكشف الغمة للمقريزي، إصدار دار ابن الوليد 1956، ص/و.

يولد وينمو ويموت). (10)

5 – تاريخ المجاعات في مصر وأسبابها:

أراد المقريزي في كتابه " إغاثة الأمة بكشف الغمة " أو " تاريخ المجاعات في مصر"، الحديث عن الأزمات الاقتصادية والمجاعات التي عاشتها مصر، ليصور لنا ما لاقته معظم فئات الشعب والجماهير المصرية من ضروب المحن والمآسي، في غفلة من الحكام، الذين فضل معظمهم الابتعاد عن الجماهير، وجعلوا كل همهم في جني الأموال وتحصيلها والإكثار منها، والاحتفاظ بالسلطة والحكم بمختلف الوسائل الأخلاقية وغير الأخلاقية، ومهما حل بالشعب من آلام ومصائب. (11)

واستطاع المقريزي أن يحدد الأسباب التي أدت إلى حدوث هذه المآسي والمجاعات ووصفها واحداً واحداً لتلافيها وعدم الوقوع فيها مرة ثانية. لقد عدد الكثير من المجاعات التي ألمت بمصر وأوضح صورها وأسبابها وحمّل مسؤولية هذه المجاعات للحكام الغافلين عن مصالح العباد، والغارقين في ملذات الدنيا وعبثها (ذكر منها قرابة ستاً وعشرين مجاعة).

لقد كانت وسائل الإنتاج بسيطة، حيث كان يسود في المدينة الإنتاج الحرفي مع أدواته البسيطة، وتمركزه الضعيف ورأسماله القليل، أما في الريف فلم تكون وسائل الإنتاج تعدو المألوف من محاريث يدوية وأوائل زراعية تقليدية.

ويوضح المقريزي بأن المصائب والمحن تعاظمت على الناس في مصر بحيث ضن الناس أن هذه المحن لم يكون فيما مضى مثلها ولا مر الزمان في شبهها، حتى أنهم قالوا لا يمكن زوالها، وغفلوا أن ما بالناس هو ناتج من سوء تدبير الزعماء والحكام، وغفلتهم عن النظر في مصالح العباد، وما هذه الأزمة التي تمر بها مصر حالياً إلا كما مر من الأزمات والمصائب والمحن التي مرت بها فيما مضى من الأزمات. وحاول المقريزي أن يذكر من الأزمات والمحن والمجاعات التي مرت بها مصر فيما مضى، ما يتضح به أنها كانت

---

(10)– المصدر السابق.

(11) – أنظر، مقالة للكاتب، مجلة دراسات عربية، العدد 12/11/ أيلول وتشرين الأول 1989، دار الطليعة – بيروت 1989، ص138–143.

أشد وأصعب من هذه المحن التي نزلت بالناس في هذا الزمان بأضعاف مضاعفة، حتى ولو كانت الأزمة الحالية مشاهدة والماضية خبراً.

وأكد المقريزي على أن المحن والأزمات تتعاقب على هذا الكون منذ بداية الخليقة وفي سائر الأقطار والبلدان، وهو يحاول أن يوضح في كتابه هذا ما حل بمصر وشعب مصر من المجاعات منذ آدم عليه السلام وإلى الزمن الحاضر " الذي عاشه " وهو يعود إلى التاريخ ويحاول أن يوضح ويذكر أهم ما حدث لشعب مصر من المصائب على مر العصور. ويذكر على لسان الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه في كتابه أخبار مصر لما قبل الإسلام، (أن أول غلاء وقع بمصر كان في عهد الملك السابع عشر من ملوك مصر قبل الطوفان. واسمه افروس بن مناوش الذي كان طوفان نوح عليه السلام في زمنه، على قول ابن هرجيب بن شلهوب، وكان سبب الغلاء ارتفاع الأمطار وقلة ماء النيل، فعقمت البهائم، ووقع الموت فيها لما أراده الله سبحانه وتعالى من هلاك العالم بالطوفان). (12)

6 – النقود هي الذهب والفضة فقط:

يقول تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، مؤرخ الديار المصرية، في كتابه شذور العقود في ذكر النقود:

(النقود التي تكون أثماناً للمبيعات وقيماً للأعمال إنما هي الذهب والفضة فقط ولا يعلم في خبر صحيح ولا سقيم عن أمة من الأمم ولا طائفة من طوائف البشر، أنهم اتخذوا أبداً في قديم الزمان ولا حديثه نقداً غيرهما).

اهتم تقي الدين المقريزي بالمشكلات الاقتصادية وقدم لنا أفكاراً عن بعض الظواهر النقدية، ودرس في كتابه (إغاثة الأمة بكشف الغمة) ظاهرة المجاعة، أو ما يمكن التعبير عنها بالأزمة في المجتمع الرأسمالي (فقد شخص النقص في إنتاج قيم الاستعمال من المنتجات والسلع وارتفاع أثمانها، وبين أثر العامل النقدي فيما يتعلق بكمية النقود في النشاط الاقتصادي من خلال أثرها في المستوى العام للأثمان، كما لاحظ افتقاد النقود المعدنية النفيسة (الذهبية والفضية) تاركة المجال للنقود النحاسية في التداول خلال فترة المجاعة، وذلك

(12) – تقي الدين المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، دار ابن الوليد، حمص 1958، ص7 و8.

لأن ارتفاع الأثمان قد خفض من القوة الشرائية للنقود، وبما أن الذهب والفضة، كمعدنين نفيسين، قد ارتفع ثمنهما بالمقارنة مع سعر الصرف المقرر رسمياً لهذه النقود المعدنية، مما جعل استخدامهما في صناعة الحلي والأواني وغيرها أكثر مردوداً، وهكذا تطرد العملة الرديئة العملة الجيدة، وبهذا نجد في فكر المقريزي كما لاحظ د. دويدار، جوهر ما يسمى قانون جريشام (1519-1579) الذي جاء بعد المقريزي بنحو مائة وخمسين عاماً. (13)

كان سبب الأزمة الاقتصادية (المجاعة) التي حلت بمصر في القرن الخامس عشر فساد النظام النقدي (كثرة النقود وغش النقود). كما بحث المقريزي في التضخم النقدي وأثره الاجتماعي (على الرعية) وطالب بمحاربة العملات المعدنية الرمزية لصالح اعتماد النقود كاملة القيمة (الذهب والفضة)، أي أن المقريزي كان قد أسس للنظرية الكمية في النقود، متقدماً في ذلك على الفرنسي جان بودان.

7 – أهم ما يميز كتابات تقي الدين المقريزي:

ويتميز الفكر الاقتصادي عند المقريزي بالروح العلمية، ويعتمد على الأسس المادية في مناقشته وطرحه للقضايا، فهو يأخذ بمبدأ السببية، ويتنكر لمبدأ القدرية. (فالأمور كلها، قلها وجلها، إذا عُرفت أسبابها، سهل على الخبير إصلاحها).

(فالمجاعات وأمثالها، ليست شيئاً مفروضاً على الإنسان من عل، ينزل بأمر، ويرتفع بأمر، كما أنها ليست ناجمة عن جهل الطبيعة وعماها، دون أن يكون للإنسان بها دور بل هي ظاهرات مادية اجتماعية، لم تلازم البشر دائماً، ولكنها تقع آناً، وتنقطع آناً آخر، تقع عندما تجتمع أسبابها ودواعيها، وتنقطع عندما تنتهي تلك المسببات والدواعي، أن كل شيء خاضع للتطور، يولد وينمو ويموت). (14)

وتتميز كتابات المقريزي بما يلي:

- الموضوعية والأمانة التاريخية في السرد والعرض.

([13]) – د. مجيد مسعود، حول القانون الاقتصادي الأساسي للتطور الاقتصادي والاجتماعي في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية 1984، ص118 سلسلة كتب المستقبل العربي /16/.

([14])– المصدر السابق.

- وتنبثق عن الموضوعية صفة العفة والأخلاق الرفيعة والترفع عن الإساءة إلى الآخرين.
- التدقيق والتقصي والتحقيق والتعليل.
- الدخول في التفاصيل الدقيقة: أحوال النيل، الحياة اليومية، الفساد، الرشوة، الغلاء، إغراق الأسواق بالنقود.
- التركيز على الموضوع وعدم الاستطراد، وعدم الخروج على الموضوع.
- الحيادية تجاه الحكام وعدم مداهنتهم والتقرب إليهم.

8 – أهم مؤلفات تقي الدين المقريزي:

ألّف المقريزي عدداً كبيراً من المؤلفات وصلت إلى 34 مؤلف، حيث أصبحت مراجع يرجع إليها أغلب الباحثين في التاريخ، للتأكد من صحة معلوماتهم التاريخية وتوثيقها، كما ألّف المقريزي كتباً في الفقه وعلوم الدين والفلسفة وتُرجِم إلى لغات مختلفة، ومن أهمها في علوم الدين "تجريد التوحيد" و"فضل آل البيت"، و"هداية المريد لتحصيل المعاني"، وكتاب "تجريد التوحيد المفيد"، وكتاب "امتاع الأسماء بما للرسول من أنباء والأموال والحفدة والمتاع."

- كتابه "السلوك لمعرفة دول الملوك" الذي يُعد مرجعاً مهماً لمن يريد البحث في تاريخ الفترة المملوكية.
- كتابه "عقد جواهر الأصفاط من أخبار مدينة الفسطاط" مرجع مهم عن تاريخ مصر الذي يسلط الضوء فيه على الفترة الممتدة من الفتح العربي الإسلامي إلى ما قبل تأسيس الدولة الفاطمية أي حتى الدولة الاخشيدية.
- كتابه "اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا" ويبحث في التاريخ المصري إبان الفترة الفاطمية.
- كتاب "الأمير الزاهد"،
- كتاب "تاريخ الأقباط بالقول الإبريزي للعلامة المقريزي"،
- كتاب "تاريخ اليهود وأثرهم في مصر"، و"ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية في التاريخ الكبير المقفى في تراجم أهل مصر والواردين إليها"،

- كتاب "درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة" وغيرها.
- ومن أهم كتب المقريزي في مجال الفلسفة الاجتماعية:
- كتاب "البيان والإعراب عما بأرض مصر من أعراب"،
- كتاب "النقود الإسلامية أو رسالة في النقود"،
- كتاب "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار"، ويقول بعض النقاد والباحثين أنه في كتابه هذا قد بدى المقريزي متأثراً بشكلٍ واضح بمؤسس علم الاجتماع ابن خلدون، فبعض الباحثين يعتبره أحد ورثة ابن خلدون وتلامذته النجباء، بسبب أسلوبه في التحليل والبحث في أسباب المشاكل الاجتماعية وشرح بعض قوانين الحراك الاجتماعي.

للمقريزي سفر من الكتابات التاريخية الفائقة الأهمية، أهمها:

- إغاثة الأمة بكشف الغمة.
- نبذة العقود في أمور النقود: ويسمى أيضاً النقود القديمة الإسلامية.
- الأوزان والمكاييل الشرعية.
- حصول الأنعام والمير في سؤال خاتمة الخير.
- شذور العقود في ذكر النقود.
- السلوك لمعرفة دول الملوك:
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

أ – كتاب (إغاثة الأمة بكشف الغمة):

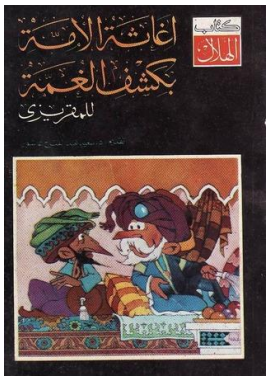

أراد المقريزي في كتابه (إغاثة الأمة بكشف الغمة) أو (تاريخ المجاعات في مصر)، الحديث عن الأزمات الاقتصادية والمجاعات التي عاشتها مصر، ليصور لنا ما لاقته معظم فئات الشعب المصري من ضروب المحن والمآسي،

في غفلة من الحكام، الذين فضل معظمهم الابتعاد عن الناس، وجعلوا كل همهم في جني الأموال وتحصيلها والإكثار منها، والاحتفاظ بالسلطة والحكم بمختلف الوسائل الأخلاقية وغير الأخلاقية، ومهما حل بالشعب من آلام ومصائب. (15)

(فالمجاعات وأمثالها، ليست شيئاً مفروضاً على الإنسان من علٍ، ينزل بأمر، ويرتفع بأمر، كما أنها ليست ناجمة عن جهل الطبيعة وعماها، دون أن يكون للإنسان بها دور بل هي ظاهرات مادية اجتماعية، لم تلازم البشر دائماً، ولكنها تقع آناً، وتنقطع آناً آخر، تقع عندما تجتمع أسبابها ودواعيها، وتنقطع عندما تنتهي تلك المسببات والدواعي، أن كل شيء خاضع للتطور، يولد وينمو ويموت). 16

واستطاع المقريزي أن يحدد الأسباب التي أدت إلى حدوث هذه المآسي والمجاعات ووصفها واحداً واحداً لتلافيها وعدم الوقوع فيها مرة ثانية. لقد عدد الكثير من المجاعات التي ألمت بمصر وأوضح صورها وأسبابها وحمّل مسؤولية هذه المجاعات للحكام الغافلين عن مصالح العباد، والغارقين في ملذات الدنيا وعبثها (ذكر منها قرابة ستاً وعشرين مجاعة).

لقد كانت وسائل الإنتاج بسيطة، حيث كان يسود في المدينة الإنتاج الحرفي مع أدواته البسيطة، وتمركزه الضعيف ورأسماله القليل، أما في الريف فلم تكون وسائل الإنتاج تعدو المألوف من محاريث يدوية وأوائل زراعية تقليدية.

ويوضح المقريزي بأن المصائب والمحن تعاظمت على الناس في مصر بحيث ضن الناس أن هذه المحن لم يكون فيما مضى مثلها ولا مر الزمان في شبهها، حتى أنهم قالوا لا يمكن زوالها، وغفلوا أن ما بالناس هو ناتج من سوء تدبير الزعماء والحكام، وغفلتهم عن النظر في مصالح العباد، وما هذه الأزمة التي تمر بها مصر حالياً إلا كما مر من الأزمات والمصائب والمحن التي مرت بها فيما مضى من الأزمات. وحاول المقريزي أن يذكر من الأزمات

([15]) – أنظر، مقالة للكاتب، مجلة دراسات عربية، العدد 12/11/ أيلول وتشرين الأول 1989، دار الطليعة، بيروت 1989، ص138–143.

[16] – تقي الدين المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، دار ابن الوليد، حمص 1958، ص7 و8.

والمحن والمجاعات التي مرت بها مصر فيما مضى، ما يتضح به أنها كانت أشد وأصعب من هذه المحن التي نزلت بالناس في هذا الزمان بأضعاف مضاعفة، حتى ولو كانت الأزمة الحالية مشاهدة والماضية خبراً.

وأكد المقريزي على أن المحن والأزمات تتعاقب على هذا الكون منذ بداية الخليقة وفي سائر الأقطار والبلدان، وهو يحاول أن يوضح في كتابه هذا ما حل بمصر وشعب مصر من المجاعات منذ آدم عليه السلام وإلى الزمن "الذي عاشه" وهو يعود إلى التاريخ ويحاول أن يوضح ويذكر أهم ما حدث لشعب مصر من المصائب على مر العصور. ويذكر على لسان الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه في كتابه أخبار مصر لما قبل الإسلام، (أن أول غلاء وقع بمصر كان في عهد الملك السابع عشر من ملوك مصر قبل الطوفان. واسمه افروس بن مناوش الذي كان طوفان نوح عليه السلام في زمنه، على قول ابن هرجيب بن شلهوب، وكان سبب الغلاء ارتفاع الأمطار وقلة ماء النيل، فعقمت البهائم، ووقع الموت فيها لما أراده الله سبحانه وتعالى من هلاك العالم بالطوفان). (17)

ب – كتاب (شذور العقود في ذكر النقود):

يقول في كتابه شذور العقود في ذكر النقود هي الذهب والفضة: (إلا أنه لما كانت في المبيعات محقرات،(18) تقل عن أن تباع بدرهم أو بجزء منه احتاج الناس من أجل هذا في القديم والحديث من الزمان إلى شيء سوى الذهب والفضة يكون بإزاء تلك المحقرات، ولم يسم أبداً ذلك الشيء الذي جعل للمحقرات نقداً البتة فيما عرف من أخبار الخليقة، ولا أقيم قط بمنزلة أحد النقدين، واختلفت مذاهب البشر وآراؤهم فيما يجعلونه بإزاء تلك المحقرات، ولم تزل بمصر والشام وعراقي العرب والعجم وفارس الروم في أول الدهر وآخره ملوك هذه الأقاليم لعظمهم وشدة بأسهم ولعزة شأوهم وخنزانة سلطانهم يجعلون بإزاء هذه المحقرات نحاساً يضربون منه اليسير قطعاً صغاراً تسمى فلوساً لشراء ذلك، ولا يكاد يؤخذ منها إلا اليسير، ومع ذلك فإنها لم تقم أبداً

---

(17) – تقي الدين المقريزي، المصدر السابق.

(18) – المحقرات هي السلع والخدمات قليلة الثمن والقيمة. الفلس معروف والجمع فلوس، أفلس تعني أصبح يملك الفلوس بعد أن كان ذا دراهم.

في شيء من هذه الأقاليم بمنزلة أحد النقدين). (19)

ج – كتاب (الخطط المقريزية) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار:

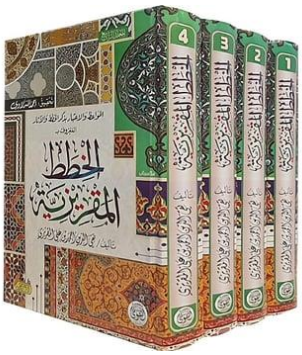

كتاب في غاية الحسن يقع في عدة مجلدات، وقد اشتُهر باسم الخطط المقريزية بسبب تركز أبحاثه على ذكر خطط القاهرة وحاراتها ومعالمها العمرانية والعلمية والدينية ورصد تاريخها وتطور أحوالها في مختلف الأدوار وبخاصة منذ بداية حركة التحرير العربي الإسلامي حتى الأيام الأخيرة من حياة المقريزي عام 843هـ.

تتسم مؤلفات المقريزي خاصةً المتعلقة بالتاريخ بالموضوعية والدقة والتقصي عن الحقائق والأسباب وتعليلها، إضافة إلى أسلوب الكتابة المتسم بالسرد والعرض، والابتعاد عن إساءة الآخرين والتقيد بالأخلاق. [20]

وقد سلك في عمله ثلاثة أنحاء، وهي النقل من الكتب المصنفة في العلوم. والرواية عمن أدركه من شَيخَة العلم وجِلَة الناس. والمشاهدة لما عاينه ورآه.

وقد بزّ به المقريزي جميع من سبقه من كتّاب الخطط ومن عاصره منهم، وتفوق عليهم بالمسح الشامل والدقيق والمفصل، واكتسب الشهرة بهذا العمل حتى غدا عميداً لمدرسة تاريخية في القرن التاسع للهجرة؛ تتلمذ فيها ابن تغري بردي والسخاوي وابن إياس وآخرون من كبار المؤرخين في ذلك العصر. ومن المرجح عند جميع المؤرخين والدارسين لهذا الكتاب، أن المقريزي قد شرع بتأليفه عام 820هـ، وانتهى منه عام 843هـ، ولم ألمح بعد

(19) – تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، شذور العقود في ذكر النقود، المطبعة الحيدرية بالنجف، النجف العراقي، ص23.

20 – https://www.arageek.com/bio/almaqrizi .

هذا العام أي خبر من أخبار أي مَعْلَم من معالم القاهرة أو أي عَلَم من أعلامها.

طبع الكتاب لأول مرة ونشر عام 1270هـ – 1850م بمطبعة دار الطباعة المصرية ببولاق بجزأين بالتزام الخواجة رفائيل عبيد، ويتألف كل جزء من خمسمائة صفحة. ويعد هذا السفر العظيم الذي أمضى المقريزي في كتابته سنين طويلة من عمره منطلقاً وأصلاً لتأليف عدة موسوعات تاريخية كبرى شملت تاريخ مصر سواء ما كان منها موغلاً في القدم مثل كتاب (الخبر عن البشر) الذي يعتبره الدكتور زيادة بأنه مستوحى من الخطط. 21

لذلك كان المقريزي مؤرخاً واثق الخطوة بين أقرانه، معتزاً بثقافته، واسع الاطلاع بحكم ما درسه أو طالعه في كتب الأقدمين أو شاهده أو مارسه من الأعمال أو المناصب والمهام التي أسندت إليه أو تولاها؛ غير مختال أو مغرور أو مفتئت على من كان يأخذ منه خبراً أو يستفيد منه علماً، بل كان يقرر أنه قد أخذ عن فلان أو روى عن فلان أو رأى في الجرائد والوثائق أو السجلات عند حاكم أو سلطان أو دولة ونقل عنها.

المؤرخ تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، من أعلام التاريخ، سار شوطاً بعيداً في حدود الفكر والعقل، وبحث في أصول البشر وأصول الديانات. كان حسن الخلق، كريم العهد، كثير التواضع، عالي الهمة فيمن يقصده لنيل العلم والدراسة، محباً للذكر والمداومة على التهجد والأوراد وحسن الصلاة ومزيد الطمأنينة، ملازماً لبيته، يقول فيه الإمام الكبير ابن حجر العسقلاني: "له النظم الفائق والنثر الرائق". كان المقريزي متبحراً في التاريخ على اختلاف أنواعه، ومؤلفاته تشهد له بذلك. 22

عمل المقريزي واعظًا وتولى العديد من المسؤوليات منها ولاية الحسبة، كما عمل خطيباً وإماماً. عرض عليه الملك الظاهر برقوق ولاية القضاء في دمشق، إلا أنه رفض وبقي في مصر، حيث تولى العديد من المناصب.

توفي المقريزي وله من العمر ثمانين سنة في القاهرة عصر يوم الخميس

---

21 – تراث الإنسانية – المجلد الثاني ص 513.

22 – زوجة المقريزي الشابة.. وبنات اليوم، إسلام ويب، 27/01/2019، https://www.islamweb.net/ar/

السادس عشر من شهر رمضان المبارك سنة 845 هـ – 1441 م الا أن السيوطي ذكر انه توفي سنة 840 هـ – 1436 وهذا يخالف ما أشار إليه. لان المعاصرين للمقريزي اجمعوا على الرواية الأولى وهي الاوثق ودفن في مقبرة الصوفية البيبرسية خارج باب النصر وقال عنه السخاوي:

ما زلت تلهج بالأموات تكتبها * حتى رايتك في الأموات مكتوبا.

الأستاذ الدكتور مصطفى العبد الله الكفري

كلية الاقتصاد – جامعة دمشق